أسباب التّداخل الصّوتيين اللّغة العربية واللّهجة العامية

Reasons for the phonitic overlap between the Arabic language and the colloquial dialect

ط/د فضيلة فراجي*
المركزالجامعي أمين العقال الحاج موسى آق أخاموك
تامنغست (الجزائر)Hadjertam.@gmail.com

د. نعيمة طهراوي
جامعة الجزائرأبو القاسم سعد الله
naimatha80@gmail .com

تاريخ الإرسال: 2024/11/18	تاريخ القبول:2024/12/16

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى إظهار مدى التّداخل الصّوتي بين اللّغة العربية الفصحى و اللّهجة العامية، والأسباب الرئيسة التي أسهمت في ذلك، وقد كان أهم سبب هو التشابه الكبير بين المفردات العربية والمفردات العامية من حيث النطق، واعتقاد المتحدث أنه لا ضير في الجمع بينهما و اعتبارهما شيئا واحدا، وقد اتبعنا في ذلك المنهج الوصفي، وقد قسّمنا البحث إلى جزئين الأول عبارة عن إشارة عامة لأسباب التداخل الصوتي بين العربية الفصحى واللهجات العربية العامية عموما في مختلف الدول العربية، في حين كان الثاني تفصيل كامل لقوانين هذا التداخل بين الجانبين، وقد اتخذنا من منطقة تمنراست أنموذجا على مدى التداخل الموجود في أصوات اللغة العربية و اللهجة العامية الموجودة فيها لإبرازأهم الأسباب المتداخلة في إحداث ذلك.

الكلمات المفتاحية:

التداخل الصوتي، اللغة العربية الفصحى، اللهجات العامية، التنوع الثقافي.

Abstract :

This research ains to show the extent of phonetic interference between classicai Arabic and colloquial language and the main reasons that contritonted to this the most important reasons was the great similarity between Arabic vocabulary and colloquil vocabulary in term of pronunciation and the speaker belives that is no conscience in combimbing them and consibiring them as one thing in this descriptire approach we divided the reanch for the phonetic interference between classical Arabic and ccolloquil dialects in general in various Arab contries while the second was complete detail of the rules of this interference between the two cases we took tamanrassetrigion as an example of the extent of the interference that exists in the sounds of the Arabic language to ligh the most important reasons for this interference .

Keywords:
phoniticinterfirence ,classical Arabic,colloquial dialects , cutruraldivensity.

* المؤلف المرسل: فضيلة فراجي

مقدمة:

حينما مدح علماء العربية لغة قريش أنها أشرف لغات الأرض قاطبة إنما كان ذلك من باب بيان فضائل العربية، ما أفسد القول السائد بأن كثرة التفاعلات بين العربية وغيرها من اللغات الأجنبية هي من أنضجت اللغة العربية نضجا عظيما،وأكسبها مرونة كافية و خصوبة أفرغتها في لهجة قريش، هذه الأخيرة التي اختيرت لتكون وعاء لوحي عظيم في عصره - عليه صلوات الله وسلامه - وأداة صالحة للتعبير الفكري العميق حتى عصر ابن خلدون مما أهلها أن تقهر بعض ما جاورها من اللغات تماما كما قهرت اللغة اللاتينية عديدا من لغات أوربا التي فتحها الرومان حتى نهاية العصور الوسطى وظهور القوميات الحديثة في بداية نحو (1400).

ربما كان الأمر يتشابه كثيرا مع ما يحدث في عصرنا الحالي، فإن كانت الفصحى في أوج هيبتها، وهذا ما حدث معها ولم يؤثر الأمر في فرادتها، فكيف لنا أن نفسّر ما اعتراها من ظواهر في زمننا الحديث بعد موجة التّطور السّريع التي أصابت العالم فغيّرت بذلك طرق التّواصل وعلى رأسها لغتنا العربية الفصحى التي امتزج فيها الحابل بالنّابل، فصرنا لا ندرك فيها الخطأ من الصواب ولا العلة من المعلول حيث إذا أردنا أن نكشف الغطاء عن أسباب هذا التداخل والتغير ، حق أن نعود إلى بدايات الاختلافات التي عرفتها اللغة العربية الفصحى من جانب آخر في ظروف وأزمنة مختلفة مما يرتبط مباشرة باللهجات العربية بنات الفصحى بالدرجة الأولى. فما هي هذه الأسباب المختلفة؟

إن العلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص، فاللغة تشتمل على عدة لهجات لكل منها ما يميزها خاصة أن القدماء من علماء العربية كانوا يعبرون عما نسميه الآن باللهجة بكلمة اللغة حينا...وباللحن حينا آخر...

إن اللغة هي أهم وسيلة من وسائل التواصل بين الكائنات الحية منها الإنسان خصوصا كونها تعتبر مجموعة من الأصوات التي يلبي بها حاجته ضمن سلسلة الكلام، ولأن اللهجة تمتاز بالوظيفة نفسها سميت باللغة أيضا، ولكن هذا لا يعني أنهما تتطابقان تطابقا تاما إذ أن اللهجة تقتصر على بيئة واحدة تتشارك مع بيئات أخرى لها لهجاتها الخاصة في انبثاقها من لغة واحدة كاللغة العربية الفصحى مثلا.

وهذا الأمر ربما هو ما طبع تلك الفكرة الشائعة في أذهان بعض الناس ألا وهي أن العربية الفصحى واللهجات العامية تصبان في مجرى واحد، خاصة أن اللهجات كانت تجري على الألسنة في نطاق بيئاتها المختلفة، فقد كان عليه الصلاة والسلام يخاطب الوفود القادمة إليه بلهجاتها. في حديثه: "ليس من البر الصيام في السفر "[1]، خير دليل على ذلك، حيث استبدل (أل) ب (أم) كما يفعل أهل هذه اللهجة.والمولى جل في علاه قال في محكم تنزيله:{وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم} سورة إبراهيم الآية 4. لأن أهمية الأمر تكمن في "الإفهام والتفهم، فكلما كان اللسان أبين كان أحمد، وكلما كان القلب أشد استبانة كان أحمد أيضا، والمفهم لك والمتفهم عنك شريكان في الفضل إلا أن المعلم أفضل من المتعلم إلا في الخاص لا يذكر والقليل الذي لا يشهر"[2].

إن معرفته عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم بلهجات العرب المتنوعة والكثيرة وإتقانه لها ومخاطبة كل قبيلة بلهجتها الخاصة بها دون اللجوء إلى استعمال اللغة الموحدة الكل تلك اللهجات وهي الفصحى، لدليل قاطع لبعض الناس على أحقية اللهجات العربية بالتخاطب في الحديث اليومي أحقية العربية الفصحى إذا كانت القدرة على التبليغ بها أكبر وأفيد من قدرة اللغة العربية الفصحى وأن لا إشكال يطرح مطلقا في الجمع بينهما وقتما شاءوا ذلك.

وأثر اللهجات تعداه لذلك أيضا ليظهر في قراءة القرآن الكريم فيما أوضحته بعض الأحاديث من صحة القراءة باللهجات العربية المتعددة والحديث الذي رواه "بخاري ومسلم والنسائي" يؤكد هذا الأمر ويثبت الأهمية البالغة التي تشكلها اللهجات إلى جانب العربية الفصحى، وفي نهايته: "نزل القرآن بسبع لغات كلها شاف كاف"[3].

لكن رغم هذا كله، إلا أنه لابد من إدراك أمر ما هو أن "الناس يستحقون ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها، فالله تعالى لم يذكر إلا في موضع العقاب أو موضع المدقع والعجز الظاهر، والناس يذكرونه في حال القدرة والسلامة كما لا يفرقون بين الغيث والمطر فيؤثرون ما هو أقل في أصل اللغة ويدعون ما هو أظهر وأكثر"[4].

والمعروف في اللغات أنه لكل مقام مقال يلائم سياقه. وأن المترادفات في اللغة العربية الفصحى رغم أنها تحمل دلالة واحدة إلا أن هذا لا يعني التعامل معه بسياق واحد، فالمعنى نفسه بين كلمتي (عذب وزلال) عند قولنا: ماء عذب يساوي قولنا: ماء زلال، لكن في موضع آخر لا يستقيم المعنى إذ يمكن أن نقول لشخص: لسانك عذب في حين لا يمكننا القول لسانك زلال. ومع هذا فقد احتفظت كل من اللهجات بصفات يسهل على اللغوي إرجاعها إلى أصلها القديم، وهذه العناصر لا يصيبها إلا قليل من التغيير رغم العوامل التي تأثرت بها ويمكننا حصرها فيما يلي: الضمائر -الأعداد- وأسماء الإشارة والموصول - أدوات الربط بين أجزاء الجملة...[5].

أما الصفات الصوتية الأخرى التي تميز اللهجات بعضها عن بعض فتتلخص فيما يلي:

-اختلاففي مخارج بعض الأصوات اللغوية.

-اختلاف في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات. - تباين في النغمة الموسيقية للكلام.

- اختلاف في مقياس بعض أصوات اللين.

- اختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض[6].

إذن مع أن اللهجة العامية هي وليدة اللغة العربية الفصحى قد حق لها أن تتشرب من نبعها وتتصف بصفاتها. لكن مع مرور الزمن اكتسبت اللهجة ما يجعلها بشيء ما تأخذ ميزات العربية الفصحى السامية، خاصة مع تشبع الإنسان باللهجة التي فطر عليها وعلى التواصل بها مما جعله يتكون بصفاتها، وهذه الأخيرة وقفت عائقا بينه وبين ضرورة إتقان اللغة العربية الفصحى بجميع معاييرها الصوتية. تلك القواعد الصحيحة التي أهمل بعضها إهمالا كبيرا نتيجة تعويضها بأصوات

درج على نطقها في اللهجة العامية. ما انبثق عنه تداخل بين أصوات اللغة العربية واللهجة العامية عنده سواء بوعي منه أم دون وعي.فإذا أردنا في المقابل معرفة الدوافع الرئيسة المسببة لهذا التداخل ماذا سنجد؟

إن اللغة في عمومها هي وجهين لعملة واحدة في آن واحد فهي الحضارة وروح الأمة وكيانها وكل ما يعكس شخصيتها ولهذا وصفت بالخطيرة لأنها الدليل القاطع الذي لا شك في صحة نتائجه المنبثقة عن رغبة كل باحث في استقصاء ظهورها ونموها وتطورها وطبيعتها منذ الأزل، فإن هي لم تفلح في تحقيق ذلك اتهمت اللغة بالهوان والذبول وبالتالي هذا الحكم يرتبط مباشرة بالأمة نفسها وهو إطاحة بها في الوقت نفسه أيضا.

وصلتنا باللغات الأجنبية وثقافتها كالإنجليزية والفرنسية تسمح لنا بالقول: إن اللغة المشتركة العامة المستعملة في الثقافة والعلوم والإذاعة والصحف والحديث الجدي تعيش بجوارها لهجاتها المحلية التي يتحدثها رجل الشارع والمثقف في حياته العادية. فعلى سبيل المثال نجد أن في اللغة الإنجليزية لهجة إسكوتلندا تختلف عن لهجة إنجلترا اختلافابينا في نطق بعض الكلمات فمثلا في كلمة (start) ينطقها أهالي سكوتلندا الحرف (٢) ولا ينطقه أهالي إنجلترا فإذا تعلم الأسكتلندي الفصيحة منع من ذلك النطق، ويختلف الأمريكيون عن الإنجليز في تفخيم وترقيق الحرف a فمثلا الكلمات (half و night أو can) مفخمة عند الإنجليز و مرققة عند الأمريكيين[7].

وعليه فإن ظاهرة تداخل الأصوات بين اللهجات واللغات لا تقتصر على اللغة العربية الفصحى و اللهجات العربية فقط، بل يشمل ذلك لغات أخرى عرفت بلغات التطور و التكنولوجيا الحديثة - الفرنسية و الإنجليزية - إذ في لغة واحدة نجد تباينا في كيفية نطق أصواتها بين منطقتين متجاورتين . مما يبرز تأثر أصوات أي لغة من اللغات بالظروف التي تعتريها، والمحيط الذي تعيش فيه مهما كانت خصائصها. ولما تمتاز به اللغة العربية الفصحى من ميزات لا تتوفر في أي لغة غيرها، فإن الأمر عندما يتعلق بها يكون حساسا للغاية.

ومما جاء في " البيان والتبيين" ضمن ما يدخل في التأثير والتأثر بين اللغات واللهجات أن " اللفظ الهجين الرديء والمستكره الغبي، أعلق باللسان وآلف للسمع وأشد التحاما بالقلب من اللفظ النبيه الشريف، والمعنى الرفيع الكريم... يعشش في القلب ثم يبيض ثم يفرخ فإن ضرب بجرانه ومكن لعروقه، استفحل الفساد وبزل، وقوي داؤه وامتنع دواؤه ...[8].

يشير هذا القول إلى خطورة اعتماد تلك الألفاظ الحديثة التي ظهرت في اللغة العربية الفصحى قادمة من لهجات عربية متنوعة ويقصد على وجه التحديد تلك الألفاظ المتعلقة بأسماء الطعام، أو الطرائف المضحكة وغيرها...كألفاظ تعامل معاملة ألفاظ اللغة العربية الفصحى بأي شكل من الأشكال، فهذا سيفتح باب المجال واسعا أمام كل محاولة لذلك فتندثر العربية الفصحى وتفقد هيبتها وقوتها وميزاتها التي خصها الله بها.

والجاحظ الذي يعتبر من أفذاذ اللغة العربية ورافعي رايتها، والآخذين بها إلى التطور والرقي لم يمنعه ذلك من اعتماد اللهجة العامية في أشهر كتبه "البيان والتبيين" في مواضع خفيفة يحبها الإنسان باعتبارها جو المرح الذي تضفيه عليه وربما ما كان ليكون هذا تأثيرها عليه لو كانت بالعربية الفصحى وبالتالي فإن هذا الأمر سيجعل القارئ يشعر بلدة القراءة ويستشعر الغاية من وراء ذلك بشكل ظريف مختلف ودون أن يشعر بذلك.

ومن المظاهر التي تمتاز بها اللغة العربية إلى جانب ما ذكر آنفا: "استعمال اللهجات في مجالات الفصحى أو العكس، وربما كان أهم فن أدبي يقع في ذلك الآن هو "فن القصة" وأشير أن العامية تستعمل في التعبير عن الأفكار الدارجة والمواقف العادية. ويبدو أن التهجم على ذلك الفن الأدبي ممن لا يحسنونه قد دفعهم إلى نقل تلك الأفكار والمواقف فيما يكتبون من قصص فكثير منها يدور حول المقاهي...والأحياء البلدية و "الشاويش" عوكل. وعمي مدبولي... ولذلك كان من الطبيعي أن يستعملوا في ذلك اللهجات العامية. فأصبحت قصصهم بلا موضوع ولا لغة"[9].

ومثال ذلك في القصص الجزائرية: سي الطاهر بدلا من السيد طاهر... لالة خديجة بدلا من السيدة خديجة...حومة بدلا من حارة...نلاحظ اجتياح تلك المفردات الدارجة بشكل كبير جدا حتى أننا لا نكاد نقرأ قصة جزائرية إلا ونصطدم بهذه الظاهرة. وبالتالي صارت شيئا مألوفا في هذا الفن النثري تحديدا.

حينما يسمع الفرد بمثل هذه المفردات في مواطن كان من المفروض أن تكون بالفصحى بدل اللهجة العامية. فيعتقد خاصة، غير المثقف من عامة أفراد المجتمع، أو غير الواعي بخصائص هذا الفن كالتلاميذ مثلا أنه لا ضير من أن يتحدث لغته العربية الفصحى ممزوجة بلهجته العامية، أو أن يضفي عليها طريقته الخاصة فيتحدث بها كما يشاء. وبالطريقة التي تشعره بالراحة ليغير كلمة مكان أخرى أو حرفا محل آخر. كما أتاحه له لسانه أو المحيط الذي يعيش فيه.

إن البحث عن أسباب التغيير الصوتي من أصعب مشكلات علم اللغة ذلك أنها ليست وليدة اللحظة بل أنها حصيلة تراكمات كثيرة على مر السنين منها ما بقي ظاهرا للعيان دونته كتب التاريخ وهذا أمر معرفة أسبابه والوقوف عنده هين لا إشكال فيه، لأن المشكلة الحقيقية ترتبط بما خفي أثره واندثر، ومن أجل ذلك اقترحت تفسيرات كثيرة، تحاول جميعها تفسير المشكلة تفسيرا منطقيا علميا ومنها:

1 -1- من الناس من يقول إن الميول العرقية تحدد سلفا الاتجاه الذي يسير فيه التغيير الصوتي[10]، فاللغة دائمة التطور مهما أحيطت بسياج من الحرص عليها. والمحافظة على خصائصها. لأن اللغة ليست في الحقيقة إلا عادات صوتية تؤديها عضلات خاصة، ويتوارثها الخلف عن السلف[11].

ومن الأسباب التي تجعل اللغة قابلة للتغير مع كل التدابير التي تتخذ لمنع ذلك هو أن الحياة الاجتماعية عند الإنسان تختلف من زمن لأخر، ومن بيئة لأخرى ومن إنسان الإنسان أيضا. لأن الفرد الذي يعيش حياة اجتماعية مترفة لن يعبر بلغته كما يعبر بها الإنسان الميسور، الذي يعتبر أسلوبه

مبتذلا لا يليق بمقامه. بالنسبة للغني. فلا يرغب بتقليده والحديث مثله، كما أن لغة الفقير المعدم هي أيضا تعد لغة منحطة لكل من الإنسان الغني والميسور إلى جانب ما يعانيه من سوء الأوضاع الاجتماعية التي زادت الطينة بلة وانعكست بوضوح على لغته وطرق تعبيره وتواصله مع بقية أفراد المجتمع والتي قد يصفونها بالسلبية.

2 -1-غالبا ما عدت التغييرات الصوتية تكييفا لظروف التربة والمناخ فبعض اللغات الشمالية تكثر فيها الأصوات الصحيحة. في حين تكثر الحركات في بعض اللغات الجنوبية مما يكسبها تناسقا صوتيا، إن المناخ وظروف الحياة قد يؤثران في اللغة[12].

يبرز من هذا السبب تأثير طبيعة البيئة والمناخ ونوعيهما في اختلاف الأصوات واختلاف صفاتها من منطقة لأخرى، وذلك من حيث درجة البرودة والحرارة ومن حيث ما تتكون منه من هضاب وسهول وجبال... إلخ.

3- 1. ثمّة تفسير آخر ساد منذ بضع سنوات ينسب التغيير في اللفظ إلى تدريس علم الصوت في مرحلة الطفولة إذ ينجح الطالب بعد محاولات كثيرة من الخطأ والصواب ويصبح قادرا على تلفظ ما يسمعه من حوله. وهذه بداية جميع التغييرات إذ تنتصر بعض الأخطاء التي تبقى من غير تصحيح وتظل عند الفرد، ثم تتعزز وتثبت في الجيل النامي فكثيرا ما يلفظ الطفل (t) بدلا من (k)[13].

إن الأخطاء الصوتية الكثيرة التي يقبل بها تلاميذ المدارس تعكس الواقع اللغوي الذي آلت إليه اللغة ومدى التحول الذي أصابها، كونهم يتلفظون بها بشكل عفوي مما يبرز تأثرهم الكلي بالأنماط التعبيرية التي انبثقت من الوسط الذي يعيشون فيه، وعليه لو تمكن المعلمون من ضبط وحصر هذه الأخطاء بشكل ما وقاموا بتصويبها بين الحين والآخر فسيسهمون دون شك في القضاء عليها تدريجيا سواء أكان ذلك عند التلميذ، أم عند بقية أفراد المجتمع من خلال التلميذ نفسه الذي سيطلعهم على طرق النطق الصحيحة التي تعلمها حين ينطقونها خاطئة.

4- 1- قد تنسب التغييرات الصوتية في بعض الأحيان إلى الحالة العامة للأمة في لحظة من اللحظات ، فاللغات تمر في بعض الفترات التي هي أكثر اضطرابا من غيرها وقد حاول بعضهم أن يعزي التغيير الصوتي إلى الفترات المضطربة في تاريخ الأمة. وأن يجد بهذه الطريقة حلقة وصل بين عدم الاستقرار السياسي وعدم الاستقرار اللغوي، وبعد الانتهاء من ذلك يزعم بعضهم أن في استطاعته تطبيق النتائج المتعلقة باللغة عامة على التغييرات الصوتية. فيقول -على سبيل المثال -أن أشد الثورات في اللاتينية في أثناء تطورها إلى اللغات الرومانسية اتفق مع فترات الغزو المضطربة جدا[14].

وعدم الاستقرار السياسي يجسده الاستعمار بمختلف أشكاله كونه يسعى بشتى الوسائل إلى محاولة طمس مقومات الأمة بما تحمله من هوية وطنية في مقدمتها اللغة من خلال نشر أفكاره لتتغلغل شيئا فشيئا في نفوس أفرادها، فيظهر هذا التأثير على لغتهم مباشرة وطرق تعبيرهم وبالتالي تفكيرهم. وكلما طال أمد هذا الاضطراب كلما كان مفعوله أقوى وأعمق.

5- 1 - قد أكد لنا المحدثون أنه ليس من أبناء المنطقة الواحدة اثنان ينطقان نطقا مماثلا في كل الصفات، بل إن المرء الواحد قد ينطق الصوت الواحد من لغته نطقين متباينين في ظروف متباينة...[15].

من الطبيعي أن يختلف نطق الأصوات بين شخصين اثنين وإن كانا من نفس المنطقة وهذا الاختلاف ليس باستبدال حروف محل أخرى، بل في الصفات التي يعطيها كل إنسان الصوت معين فالذي صوته غليظ أكيد لن يكون نطقه للظاء أو غيرها كما ينطقها ذو الصوت المنخفض مثلا، كما أن الإنسان نفسه يغير في صفات الحروف ونبرات صوته حسب الظرف الذي يمر به، فصوته في أثناء فرحه ليس هو صوته لحظة حزنه وليس هو صوته لحظة ارتباكه أو غضبه أو مرضه كتعرضه للبحة على سبيل المثال...وهكذا.

1 - 6 - إن تراكم تلك الفروق اللغوية الدقيقة، وتبلورها مع مرور الزمن أصبح له أثر واضح في اختلاف نطق الأصوات اللغوية مما لا يدع مجالا للشك في أن لغة الخلف تغاير لغة السلف في أصواتها. مع أن التطور بينهما يبدو أحيانا ضئيلا إما للتغير الطفيف الذي حدث في الصوت نفسه وبالتالي فإنه لم يغير دلالة الكلمة، أو أن المتحدثين لم يميزوا هذا الاختلاف إذ أنه لم يشكل عائقا يذكر في أثناء تواصلهم مع بعضهم بعض... وعليه فإن هذا الدليل المتوفر لكشف لغة الأجداد لا يكفي إذ لابد من وسائل أحدث كالأسطوانات والأشرطة التي تسجل تسجيلا صوتيا دقيقا لا مجال للطعن فيه[16].

في حياتنا اليومية وفي أثناء تواصلنا مع مختلف شرائح المجتمع كثيرا ما تصادفنا بعض الظواهر الصوتية وإن كنا قد اعتدنا عليه خصوصا تلك التي تصدر من كبار السن، فإنهم غالبا ما يتحدثون بمصطلحات نعتبرها نحن متخلفة جدا لا ترقى إلى مستوى التطور الذي نعيشه منها على سبيل المثال (قدح التي يطلقونها على الأواني مجتمعة) ولكن إذاعدنا إلى اللغة العربية لوجدنا أن الكلمة فصيحة تماما تعني الكوب المليء بسائل ما وأنها لفظ غير متخلف. ومن الظواهر الصوتية التي نسمعها أيضا عندهم نطق بعض الأصوات في الكلمات بطريقة وكأنهم تواضعوا عليها فيما بينهم -أي كبار السن. لا ندري أذلك دون وعي منهم أم التماسا للتيسير في النطق أم لصعوبة نطق تلك الأصوات أم لشيء آخر نجهل كنهه؟ فمثلا يسمون (القرآن بالقرعان، والجزائر بالززاير، ويقولون عمى بدل مع المقصود بها حرف الجر...) وغيرها كثير من الألفاظ التي عرفت تغييرا.

وهناك أسباب أخرى لها دور في ظاهرة التداخل الصوتي وهي مختلفة الاتجاهات منها:

أ- اختلاف أعضاء النطق

لقد برهن معظم العلماء على أن أعضاء النطق عند الإنسان تتحد في جميع تفاصيلها. فقد برهن بعضهم في علمالتشريح على أن حنجرة أشهر المغنيين لا تمتاز عن حنجرة الرجل العادي من هذه الناحية والفرق بين المغني وغيره أن الأول يملك زمام تنفسه، ويسيطر على ما يندفع من الرئتين من هواء سيطرة تامة...ومصدر هذه السيطرة هو المخ[17].

وما نشاهده في البرامج التلفزيونية اليوم أن الإنسان الذي يملك ما يؤهله أن يكون مغنيا ويخضع لتدريبات مكثفة باشتغاله على صوته،فينمي تلك الموهبة من خلال كسب القدرة على التحكم في تنفسه وأحباله الصوتية ومعرفة مخارج الأصوات والمواضع التي تكون فيها مفخمة، رقيقة...

هذا وقد ثبت بالتجربة أن مدرس "الفوناتيك" يستطيع أن يعلم تلاميذه أي صوت من الأصوات، في أي لغة من لغات العالم مع شيء من المران والشرح العلمي دون أن يصحب عضلات نطق التلاميذ أي تغيير في تكوينها...والمقصود هو انتقال الأصوات القديمة من مخارجها. لتستعمل في مخارج جديدة أو يبطل استعمالها في مكانها الأصلي[18].

إن مهمة مدرس الفوناتيك المتمثلة في تعليم تلاميذه كيفية نطق الأصوات، تشبه تماما التمارين التي يخضع لها الشخص الذي يملك مؤهلات لأن يصبح مغنيا جيدا، مما يثبت أن المران والممارسات الصوتية المتكررة كفيلان أكثر من شيء آخر بتقويم طريقة النطق الصحيحة لكل من وقع تحت وطأة الظواهر الصوتية الخارجة عن مألوف اللغة.

ب - البيئة الجغرافية

من المحدثين من يجعلون الطبيعة الجغرافية سبب التطور الصوتي الذي يصيب اللغة.فقد عزي بعضهم تطور الأصوات الشديدة في اللغة الألمانية إلى نظائرها الرخوة للطبيعة الجغرافية في بعض جهات ألمانيا. وقد أكدت في مقالات أن الجهات الجبلية تميل لغاتها إلى التخلص من أمثال b، dog فتهمس أولا وتصبح على الترتيب k itp ثم تقلب هذه إلى نظائرها الرخوة [الفاء، الثاء، الهاء] على الترتيب[19].

تؤثر طبيعة البيئة على طرق نطق أصوات اللغة بشكل كبير جدا، فالإنسان الذي يعيش في منطقة باردة تتميز أصواته بالحدة والقوة باعتبار الصعوبة والجهد الكبيرين في أثناء نطقه لها للتعبير عن مقاصده تبعا لقساوة البيئة التي قد تفرض عليه الاستغناء عن أصوات واستبدالها بأخرى - كالقطبين الشمالي والجنوبي-، في حين أن الإنسان الذي يقطن في مناطق دافئة تكون أصواته رخوة رقيقة لا يحتاج فيها إلى بذل مجهود أكبر حتى يوصل أفكاره إلى غيره أو أن يهمل أصواتا من لغته.

كما قد تتصل لغة بلغة أخرى عن طريق الغزو الثقافي أو الاستيلاء فيتعلم أهل البلاد لغة الفاتحين، ولكنهم ينطقون بها محتفظين بخصائص لغتهم الصوتية وهذا ما حدث للغة العربية حين دخلوا العراق حيث تأثرت بالنطق الفارسي، وتأثرت الشام بالسريانية... ومن هذا الباب دخول بعض الحروف العربية في لغة الأوردو وفي اللغة التركية...[20].

ويمكن لنا من هذا أن نضرب مثالا من خلال تلك المصطلحات الحديثة أو الألفاظ الجديدة الدخيلة والمعربة في اللغة العربية في مجالات متعددة من العلوم الجديدة منها مثلا: البيولوجيا، الجيولوجيا، المورفولوجيا، التكنولوجيا...فنلاحظ أن الناطقين باللغة العربية حينما اقتنوها من

اللغات الأخرى كان ذلك بحروفها الأجنبية مع إضفاء خصائص ذات صبغة عربية حيث أنا إذا أردنا العودة بها إلى أصلها الأول نجد أنها كانت على هذا النحو:

biologie ،geologie ،morphologie ،technologie

انتشرت القبائل العربية على سطح الجزيرة المختلفة طبيعته الجغرافية بين سهول وأودية وهضاب وجبال وسواحل كبري وغيرها...ومناطق حضارية ومستقرة في مواضع من الحجاز وتهامة واليمن ومناطق البداوة في نجد والعروض، ومنه فإن سعة الجزيرة وترامي أطرافها واختلاف طبيعتها الجغرافية كونت حواجز إلى حد ما بين القبائل العربية مما كان له الأثر الأكبر في محافظة تلك القبائل على ما كان يستجد عندها من ألفاظ واختلاف في الصوت. وعدم نقلها ذلك الجديد إلى قبائل العرب الأخرى مما أدى بمرور الزمن إلى أن تتحول اللغة العربية الواحدة إلى لهجات كثيرة متعددة[21].

إن الموقع الجغرافي الذي تتربع عليه أي منطقة مهما كان له أثر كبير في طبيعة أصواتها من حيث نوعها، وصفاتها، وكيفية النطق بها لأسباب جمة تتمثل معظمها في عدد المناطق المحيطة بها والمجاورة لها. من حيث نوع التضاريس التي تشتمل عليها ومن حيث مساحتها الجغرافية أيضا، ونوع وعدد الوافدين إليها من الأجانب والغرباء من ما جاورها...إلخ.

ج - الحالة النّفسية

يعزو بعض العلماء تطور الأصوات من شدة إلى رخاوة، أو العكس إلى الحالة النفسية التي يكون عليها الشعب. فالشعب حين يميل إلى الاستقرار. تميل أصوات لغته إلى الانتقال من الشدة إلى الرخاوة فإذا اعتز الشعب بقوته وجبروته مال إلى العكس وأصحاب هذا الرأي يتلمسون أدلة على قولهم من التطور التاريخي الذي أصاب الشعب الألماني، وما تبع هذا من تطور في أصوات اللغة غير أن مثل هذا لا يستحق منا أن نقف عنده أكثر من ذلك، لأن الربط بين أصوات اللغة والحالة النفسية عند الشعوب لا يجد ما يؤيده في تاريخ الشعوب الأخرى[22].

وفي النظرية السياقية والتي من فروعها سياق الموقف، حيث أن " لكل مقام مقال"يعني أن الإنسان يخضع لجملة من الظروف التي تؤثر في لغته وطريقة حديثه وبالتالي في كيفية نطقه لمختلف الأصوات. فينطقها وهو يتلعثم أو يرتجف أو يتحدث بسرعة فائقة من الخوف مثلا، أو يتحدث بأسلوب بطيء...وفي هذا وذلك كله يحدث تغييرات صوتية متنوعة إما بإهمال أصوات أو إضافة أصوات أخرى أو تغيير صوت مكان آخر...بفعل الحالة النفسية التي يعيشها في أوقات مختلفة من الزمن.

د. نظرية السهولة

يعد اندثار الأصوات الأسنانية في اللهجات العربية الحديثة مظهرا من مظاهر السهولة والتيسير في اللغة العربية الحديثة ... فنرى أن مخرج هذه الأصوات قد رجع إلى الخلف مع احتفاظها بصفة

الرخاوة تارة، أو تحولها إلى صفة الشدة تارة أخرى، ولا شك أن ذلك جهد عضلي تخلصت منه لغة الكلام[23].

الإنسان بشكل عام أينما وجد أو حيثما تواجد فإنه يبحث عن الطرق اليسيرة والبسيطة التي بها يبلغ غاياته في جميع مجالات الحياة دون عناء أو شقاء، وإن مجال التواصل في المجتمعات بين الأفراد أحد المجالات التي احتاج فيها البشر إلى الاختصار والتيسير لغايات مختلفة ومتعددة قد يكون عامل الوقت والجهد أهم سبب جعله يوجد هذا الأمر ويضعه نصب عينيه بأسلوب متعمد أو بطريقة تلقائية عفوية، فتشيع الظاهرة بعد تداولها على ألسنة الناس لتصبح جزءا لا يتجزأ من حياتهم بعد فترة من الزمن.

هـ – القياس الخاطئ

ويبدأ عادة عند فرد يقوم به للمرة الأولى، ثم قد لا يصلح له، فينتشر ويزيد فيقلده عامة الناس لينشأ ما يسمى بالأخطاء اللغوية الشائعة التي يمكن أن تتطور وتتغلب على القديم، وتسود وحدها في أذهان الناس، ونحن -بطبيعة الحال- لا نعرف ذلك الشخص الذي بدأت عنده عملية القياس لأول مرة ، أو الكلمة التي قاس عليها...وقد عرف علماء اللغة القدماء هذه الظاهرة و أسموها بالتوهم أو الحمل[24].

مثل هذه الظاهرة التي أسهمت في تفشي الأخطاء اللغوية على ألسنة الناس كثيرة جدا أمثلته في اللغة العربية الفصحى، إذ أصبح الناس يسقطون كل ما يسمعونه على كلامهم سواء كان هذا في اللهجة أم اللغة الفصيحة فعندنا على سبيل المثال لا الحصر كلمة بنطلون) المعربة، وهي في المجتمع العربي تنطق (بنطال، لكننا نجدهم يغلبون اللفظ الأول على اللفظ الثاني وهكذا.

إن الطبيعة التي بنيت عليها أصوات اللغة العربية الفصحى وحروفها جعلها تكتسب صبغة خاصة عند أهلها من جهة وعند الغرباء عنها من جهة أخرى، خاصة ونحن نعلم أن اللغة العربية الفصحى هي اللغة الوحيدة التي تحتوي على بعض الحروف التي لا توجد في أي لغة أخرى ك (الحاء، العين ، القاف)، وإن الغريب عن العربية إذا أراد تعلمها فإنه سيواجه صعوبة في نطق هذه الأصوات مما يفرض عليه استبدالها أو تعويضها بحروف أخرى لسد الخلل في النطق نظرا لثقلها عليه بفعل عدم اشتغال مخارج هذه الحروف عنده من قبل لغيابها في لغته الأم التي كان يتحدث بها، وهذا ما سيؤثر بلا شك على أصوات اللغة العربية وعلى أفواه متحدثين أخرين إن كانوا على جهل بطبيعتها و تأثروا بها... إلخ.

وقد يؤيد هذه النظرية ذلك التطور الذي حدث في أصوات اللغة العربية الرخوة. كالذال والثاء والظاء إذ أصبحت في لغة الكلام أصواتا شديدة هي الدال والتاء والضاد... مما يسهل على اللسان الاصطدام بالحنك، والالتقاء بها التقاء كاملا ينحبس مع النفس وهذا يكون مع الأصوات الشديدة[25].

مثلت الحروف اللثوية الثلاثة نقطة الخلاف فيما يتعلق بكيفية نطقها الصحيح في كثير من المناطق العربية بفعل عوامل كثيرة أثرت في أصوات اللغة العربية الفصحى وأحدثت خللا كبيرا في مستوى أصواتها بالنسبة لمن ينطقها نطقا خاطئا وبالتالي فإن الأمر له آثار في نواحي أخرى من نواحي اللغة.

و- نظرية الشّيوع

من خلال استقراء جميع الأصوات الساكنة في القرآن الكريم. التي تزيد عن ثلاثمائة ألف من الأصوات باستخدام علم الإحصاء وجد أن: اللام والنون والميم أكثر ما تكون مجموعة من الأصوات الساكنة. هي أكثرها شيوعا في اللغة ولا يبعد أن تكون هذه الحقيقة في كل اللغات السامية. وقد يتساءل المرء: هل رويت لنا آثار في اللغة العربية تؤيد ما نذهب إليه أن الواو والياء كانت في الأصل لاما أو نونا أو ميما؟[26].

وفي نظرة عاجلة عثر" إبراهيم أنيس" في قاموس المحيط على ما يقرب من مائتي كلمة تؤيد ما ذهب إليه ورأى أنه ليس من المعقول أن اشتراك المعنى بين كل هذه الكلمات كان مجرد مصادفة فهي من الكثرة بحيث تدع اللغوي يفكر في سر هذا الاشتراك، ويحاول الكشف عنه وسيكتفي هنا بذكر بعض من الأمثلة التي عثر عليها:

١- الوقص /العيب والنقص. ٢- اللكز / الوكز. 3- وعكة /كو عدة. 4- الضنك / الضيق. 5العيس / النوق. العنس / الناقة. 6- جلخ السيل الوادي | ملاه. جاخ السيل الوادي / اقتلع أجرافه. ٧ - دجا الليل / والدجن / الظلمة...[27]

فمما نلاحظه في هذه الكلمات من اختلافات واضح جدا من خلال استبدال أصوات بأصوات أخرى كما ذكرنا سالفا فيظهر التغيير مباشرة و مع هذا قد حافظت على معناها الأصلي ولم يتغير: الوقص = النقص (قلبت الواو نونا)، اللكز = الوكز (حيث قلبت الواو لاما)، الضنك = الضيق (قلبت الياء نونا والقاف كاف)، العيس = العنس (قلبت الياء نونا أيضا). وهكذا في باقي الكلمات...

ز. مجاورة الأصوات

لقد مالت بعض اللهجات العربية القديمة إلى التخلص من توالي الصوتين المتماثلين في حالة الإدغام، وأضافت سهولته سهولة أخرى بأن يقلب أحد المدغمين إلى صوت لين طويل أو ما يشبهه... فظاهرتي المماثلة والمخالفة تهدفان دائما إلى الاقتصاد في الجهد العضلي[28].

تعدّ ظاهرتا المماثلة والمخالفة من مظاهر التغيرات اللغوية في اللغة العربية. كما أشرنا سابقا- التي أوجدتها ظروف التطورات اللغوية الحاصلة المستنتجة من طرف علماء اللغة في ظل دراستهم لقضايا الصوت العربي والوقوف على جميع حيثياته باختلافها وتشعبها.

وقد يكون الصوت في ذاته سهل النطق، وهو مفرد لا يجاور غيره من الأصوات فإذا جاور غيره أو وجد في موضع خاص من الكلمة استلزم النطق به في هذا الموضع الخاص جهدا عضليا أكبر.مما يؤدي إلى قلب هذا الصوت إلى صوت أخر... فتفخيم الباء في مثل (بطل) ليس في الحقيقة إلا اقتصادا في وضع اللسان مع الباء والطاء وانسجاما بين صوتي اللين مع الباء والطاء[29].

في عموم ما تشير إليه هذه النقطة وغيرها هو التماس المتحدث باللغة دائما كل ما له علاقة بالسهولة والتيسير في نطقه الأصوات لغته أو يوصله إلى اقتصار الجهد العضلي أثناء تعامله باللغة وتواصله بها.

وكذلك انقلاب المهموس إلى مجهور لمجاورته لصوت آخر مجهور هو في الواقع اقتصاد في عملية المزمار الذي يفتح مع المهموس ويضيق مع المجهور، ليتذبذب الوتران الصوتيان ومثل هذا يمكن أن يقال في قلب الباء ميما إذا وليها ميم كما في المثال: "اركب معنا"لأن الهواء مع الباء يتخذ مجراه من الفم، ولكن مع الميم يتخذ مجراه من الأنف هذا ما في الباء من صفة الشدة. فإذا قلبت الباء إلى ميم اقتصدنا جهدا عضليا ملموسا[30].

إذا دققنا التأمل جيدا في أحوال اللغة المستعملة من طرف المتحدث لوجدنا أنه يتعامل بهذه الظواهر المشار إليها تلقائيا دون علم منه بأن هذه القاعدة هي من خصائص اللغة العربية، خاصة في قراءته اليومية لكلام الله عز وجل أو في مواضع أخرى.

ومما جاء في قول لابن خلدون: "أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة...هكذا تصيرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل وتعلمها العجم الأطفال...ثم أنه لما فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الأعاجم وسبب فسادها أن الناشيء من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيات أخرى... فاختلط عليه الأمر من هذه و هذه فاستحدث ملكة و كانت ناقصة عن الأخرى"[31].

فمشكلات اللغة العربية عرفت منذ زمن الفصاحة والقوة ولم تقتصر على زمننا الحاضر فقط إذ أن الإنسان يغير في هذه الأداة حسب ما تقتضيه حاجاته المختلفة، التي تفرض عليه سبل أخرى في التواصل مع غيره كونه سريع التأثر الدائم بالظروف المحيطة به.

وفيما ذهب إليه"جوزيف فندريس"عن التطرق لأهم أسباب التطور اللغوي هو أن: "المسكن يؤثر أيضا على تطور اللغات...فإذا كان السكان يعيشون في مجتمعين في محلات ومدن،فإن هذا النوع من الحياة يساعد على خلق اللغات المشتركة... ومن ذلك نرى أن التأثير الاجتماعي لا يعوق تطور اللغة أو يعجل به فحسب، بل أيضا يعين اتجاه هذا التطور ومداه"[32].

لنا أن نضرب مثالا هنا بذلك الجو الذي يتقاسمه طلبة الجامعة الجزائرية القادمون من مختلف ولايات الوطن، كل منهم يحمل معه لهجته المختلفة وطريقة تفكيره وكل ما تمتاز به منطقته عن باقي المناطق الجزائرية، فيضطرون للعيش تحت سقف واحد في إقامة واحدة والاندماج مع بعضهم بعض من خلال تفاعل لغوي موحد يفهمه الجميع قصد التواصل فيما بينهم مما سيخلق لا محالة لغة جديدة موحدة لآرائهم وطرق تفكيرهم وإن كانت لفترة وجيزة من الزمن، لكنها دون شك ستصبح جزءا من مكونهم اللغوي الجديد إضافة إلى ما سيحصلونه من معارف مختلفة وثقافات

وعادات مختلفة وغيرها من رؤى ووجهات نظر ستظهر في وسيلة تواصلهم الأولى ألا وهي اللغة في حد ذاتها.

إضافة إلى ما ذكرناه من العلل والأسباب أنه لا عبرة بالتبدل إذا حدث في حادثة فردية خاصة كأن يكون ناشئا عن علة في نطق واحد من الناس، أو عن خطأ في النطق يقع فيه بعضهم ويكون جواب الناس عليه السخرية أو الانتقاص. وإنما العبرة للتبدل الذي يكونعاما في مجموعة من الناس. كسكان بلد أو مدينة أو إقليم أو في طبقة من الطبقات الاجتماعية أو يظهر في جيل من الأجيال في عصر من عصور اللغة فيستدل من عمومه في جيل أو جماعة على أن له سببا عاما وإن في الناس استعدادا لمثل هذا التبديل لسبب ما من الأسباب المتعددة[33].

وعليه فإن التداخل أو التغيير أو التبدل الصوتي أو كل كلمة تصب في هذا المعنى أن لا فائدة من تسميتها بهذا الاسم إلا إذا حدثت في بقعة واحدة مشتركة بين عدد من الأفراد تواتروا على التعامل بها على هذا النحو المستحدث بصفة دائمة وبشكل منتظم وطريقة مماثلة، حتى نستطيع تسميته بما اصطلح عليه بالتداخل أو ما صب في هذا المعنى.

2 - قوانين التداخل الصوتي في اللغة العربية

إن اللغة كما أشرنا لها مسبقا مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية وهي تتبدل وتتطور فهي لذلك تخضع سائر الحوادث والظواهر الاجتماعية لقوانين تسير عليها وتتطور بحسبها. فليس تبدلها اعتباطيا ولا تطورها فوضى كما أدرك علماء كل لغة، فاستخرجوا بادئا ذي بدء قواعد لضبطها على الوجه الصحيح وتميز الخطأ من الصواب أو ليست هذه القواعد (النحوية والصرفية دليلا على أن اللغة تنظمها ضوابط عامة مطردة، لا يمكن لأي كان أو أي شيء كان أن يرتطم بها أو ينتظم معها هكذا هباء دون سابق إنذار. إذ كل شيء يسير وفقا لقاعدة عامة مستنتجة من اللغة نفسها[34].

وأما التطور الصوتي فلم يحدث في العربية الفصحى منذ أمد بعيد على الأقل، إذ أن القرآن حفظ لنا أصواتها كما لفظها العرب ونقلها إلينا، وإنما الذي طرأ هو تطور لغة المحادثة التي تفرعت لهجات عديدة عن اللغة الفصحى فتبدلت بعض أصوات الفصحى من حروف ومدود وحركات، كتبدل القاف والثاء والذال والظاء والجيم في مناطق مختلفة من البلاد العربية إلى أصوات تختلف باختلاف المناطق[35].

وهذا ما حدث في مستوى اللغة الفصيحة حينما تأثرت باللهجة العامية في مناطق الجنوب الجزائري بالنسبة لما للحروف اللثوية الثلاثة " الثاء، الذال، الظاء" من خصوصيات، فنحن حينما نسمعها تستبدل بحروف أخرى في الكلمة الواحدة يذهب فكرنا إلى معان ومفاهيم أخرى إن كنا على جهل بالطبيعة اللغوية لتلك المناطق. فإذا نحن سمعنا صدفة أو التقطت آذاننا مثلا لفظة "سم "من أفواه أحد أفراد هذه المناطق المعنية يخيل إلينا أنها السائل أو الشراب القاتل، وهذا إن لم نتمن جيدا

في الكلام لنستنتج أن المقصود بها هو حرف العطف "ثم" بالثاء وليس بالسين فندرك تأثير هذا النطق في معاني المفردات العربية.

وعليه لابد لنا أن نتساءل عن مفهوم القانون الصوتي؟ وأنه إن كان للغة عموما قوانين تشترك فيها جميع اللغات؟ وإن كان بين البشر صورة منطق مشترك وخصائص مشتركة؟ وكانت حياتهم الاجتماعية كذلك تسير في تطورها على قاعدة موحدة؟

"تُلحظ صحة هذا القول في بعض عناصر اللغة، إذ أن معاني الألفاظ من الحسيات إلى المجردات وانتقالها بطريق التعميم أو التخصيص أو المجاورة ينطبق على ما يظهر على عدة لغات ويمكن أن يؤتى بأمثلة مماثلة، لكن الواقع أننا لا نزال بعيدين عن المرحلة التي يرى فيها عددا من القوانين التي تنطبق على جميع اللغات.لأن الأبحاث اللغوية لم تبلغ بعد مرحلة النضج المطلوب تماما والموصل إلى الغاية بجميع حيثياتها"[36].

ولمعرفة هذه الحيثيات ومعرفة اللغة معرفة دقيقة وعميقة لابد من إدراك قوانينها وسنن تطورها عبر مراحل زمنية مختلفة ومتفاوتة لخصت جملة من التغيرات والتحولات وصهرتها في بوتقات متباينة المعالم والخصائص والمميزات التي حولتها إلى أشكال مختلفة.

إذا نظرنا في أصوات أو حروف كل لغة نجدها معرضة للتبدل في بعض الأحوال انقلاب النون الساكنة قبل الباء ميما في التلفظ في اللغة العربية. وإدغامها فيما بعدها إذا كانت ساكنة وكان ما بعدها أحد الحروف الستة التي جمعتها كلمة ' يرملون. أو التبدل المستمر الذي أدى إلى إبدال صوت بصوت آخر كإبدال القاف العربية في اللهجة العامة في بعض المناطق همزة والثاء تاء والذال دالا ومثال ذلك ما حدث في اللاتينية التي تبدل كثير من حروفها في تطورها في اللغات: الفرنسية، الإسبانية والإيطالية[37].

فهل هناك قوانين لها القدرة على التحكم في هذه التبدلات والتحولات الصوتية وتجعلها خاضعة في أثناء وقوعها إلى نظامها؟ وما هي طبيعة هذه القوانين إذا كانت موجودة في الواقع حقا؟ وهل هي قوانين خاصة بكل لغة أو هل يمكن أن تكون شاملة لعدة لغات في آن واحد لتوحيد نظامها؟

خاتمة :

إننا إذا استقرينا حوادث التبدل الصوتي في لغة من اللغات نجدها في اتجاه واضح ولو بعض الوضوح، ونجدها تسير وفقا لقانون عام ولو أن له استثناءات. أوليس التبدل الذي طرأ على بعض حروف الفصحي في اللهجات العربية العامية عاما بالنسبة إلى تلك الحروف شاملا لقطر جغرافي واحد أو بلد واحد أو لعدة أقطار[38].

وما يلاحظ في جملة هذه القوانين التي وضعت لهدف مشترك باختلاف التسميات والمبادئ التي بنيت عليها أنها اعتبرت مظاهر من مظاهر التداخل الصوتي في اللغة الفصحى و في الوقت نفسه هي عبارة عن قانون يحمي اللغة من الوقوع في شراك كل ما يهددها بالضياع والخروج عن الصورة العامة التي

عهد بها، و في المقابل هي من تحدد الشروط الأساسية التي تقيد تلك التغيرات التي تطرأ على مستوى الأصوات اللغوية و تتحكم في كل ما يصيبها من تبدلات وتحولات وفق مبدأ شامل يحد من تفاقمها و خروجها عن السيطرة. ولولا تلك القوانين لفقدت أصوات اللغة العربية صفاتها ومخرجها وضاعت هويتها ولم يعرف للتغيرات التي تصيبها سبب يذكر خاصة منع مرور كل تلك الحقب الزمنية الكثيرة التي تراكمت من خلال التطورات الصوتية لتشكل كومة متلاصقة يصعب فكها إن لم تستخدم لذلك الوسائل المناسبة والحلول الناجعة.

في الأخير يمكن القول أن هذا المزج الذي يستحدثه هؤلاء المتكلمون الجدد باللغة الجديدة الغالبة دون تخطيط مسبق منهم، بل بعفوية مطلقة نتيجة أسباب شتى هو في حد ذاته من سيشكل لنا لغة ثالثة بخصائص جديدة متنوعة حاله حال اللغات المتصارعة فيما بينها منذ أمد طويل، ألا نرى اليوم مثلا أن الإنسان الأجنبي إذا تعلم اللغة العربية أضفى عليها خصائص لغته الأصيلة، فالفرنسي مثلا إذا تعلم العربية أخذها بأصوات تناسب البيئة التي عاش فيها خاصة مع غياب بعض الأصوات في لغته و هي معروفة فلم ينطق بها يوما في حياته و بالتالي سيجد صعوبة كبيرة جدا في النطق بها و إن فعل سيكون ذلك بلكنة قريبة منها، أو استبدالها بأصوات أخرى غيرها هي غريبة عن اللغة الجديدة من اللغتين في غيره ليظهر عنصر لغوي آخر لم يعرف من قبل بأصوات مختلفة تماما

الإحالات:

1 أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، 1986، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مراجعة قصي محب الدين الخطيب، دار الريان للترات، د/ط، ص 216.

2 الجاحظ، 1998، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، - ط7- ج1، القاهرة، ص 11 – 12.

3 أبو الفتح عثمان بن جني، د/ت، الخصائص - ج 2 - ص 10.

4- الجاحظ - البيان والتبيين - ج1- ص20.

5إبراهيم أنيس - في اللهجات العربية، 1995، دار النشر والتأليف والتوزيع، القاهرة، ص32.

6- المرجع نفسه، ص 16.

7- محمد عياط، 1989، قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية، عالم الكتب، ط1، القاهرة، ص76.

8- الجاحظ - البيان والتبيين - ج1 - ص86.

9- محمد عياط، قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية، المرجع السابق - ص 78.

10- فرديناند دي سوسير، 1985، علم اللغة العام،ترجمة: يوئيل يوسف عزيز،مراجعة يوسف مطلبي،دار آفاق عربية،ط3 بغداد، ص 180.

11- إبراهيم أنيس، د/ت، الأصوات اللغوية، مطبعة نهضة، د/ط، مصر، ص 160.

12- غالب فاضل المطلبي، د/ت، في الأصوات اللغوية (دراسة في أصوات المد العربية)، ص 180، 181.

13- المرجع نفسه، ص 181.

14- فرديناند دي سوسير ، علم اللغة العام، ص173.

15- المرجع نفسه، ص 173.

16- المرجع نفسه، ص 173.

17- انظر، فرديناند دي سوسير،علم اللغة العام، المرجع السابق، ص 173.

18- انظر : إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 162.

19- المرجع نفسه، ص 164.

20- محمد المبارك، 1964، قضايا اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر، ط2، بيروت، ص 57.

21- حسام سعيد النعيمي، د/ت،الدراسة اللهجية والصوتية عند ابن جني . ص79.

22- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص165.

23- انظر : رمضان عبد التواب، 2000، لحن العامة و التطور اللغوي، مكتبة زهراء الشرق، ط2، مصر ، ص50.

24- انظر : المرجع نفسه. ص 48.

25- إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية . ص 2

26- المرجع نفسه، ص180.

27- المرجع السابق، ص 180 – 183.

28- المرجع نفسه . ص 173.

29- إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية. ص 173

30- المرجع نفسه . ص 175

31- ابن خلدون، 2001، من مقدمة بن خلدون - مراجعة سهيل ذكار، دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان، ص 865.

32- جوزيف فندريس،اللغة، يوئيل عزيز يوسف، مراجعة، يوسف مطلبي، دار آفاق عربية، ط2، بغداد، ص120.

33- إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية . ص 173.

34- انظر: محمد المبارك - فقه اللغة وخصائص العربية - ص 59.

35- انظر: المرجع نفسه .ص 66 .

36- انظر : المرجع السابق ،ص 37.

37- انظر : المرجع نفسه - ص 59.

38- انظر : المرجع نفسه - ص 59.

المراجع:

1-أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، 1986، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مراجعة قصي محب الدين الخطيب، دار الريان للترات، د/ط.

2-الجاحظ، 1998، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، - ط7- ج1، القاهرة.

3-أبو الفتح عثمان بن جني، د/ت، الخصائص - ج 2.

4-إبراهيم أنيس - في اللهجات العربية، 1995، دار النشر والتأليف والتوزيع، القاهرة.

5-محمد عياط، 1989، قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية، عالم الكتب، ط1، القاهرة.

6-فرديناند دي سوسير ، 1985، علم اللغة العام، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة يوسف مطلبي،دار آفاق عربية،ط3 بغداد.

7-إبراهيم أنيس، د/ت، الأصوات اللغوية، مطبعة نهضة، د/ط، مصر.

8-غالب فاضل المطلبي، د/ت، في الأصوات اللغوية (دراسة في أصوات المد العربية).

9-محمد المبارك، 1964، قضايا اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر، ط2، بيروت.

10-حسام سعيد النعيمي، د/ت،الدراسة اللهجية والصوتية عند ابن جني .

10-رمضان عبد التواب، 2000، لحن العامة و التطور اللغوي، مكتبة زهراء الشرق، ط2، مصر.

11-ابن خلدون، 2001، من مقدمة بن خلدون - مراجعة سهيل ذكار، دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان.

12-جوزيف فندريس، اللغة، يوئيل عزيز يوسف، مراجعة، يوسف مطلبي، دار آفاق عربية، ط2، بغداد.